٤٦٥١

كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة

علي بابا

الطبعة الثالثة والعشرون

دار المعارف

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

١ — قاسِمٌ وَ عَلِي بابا

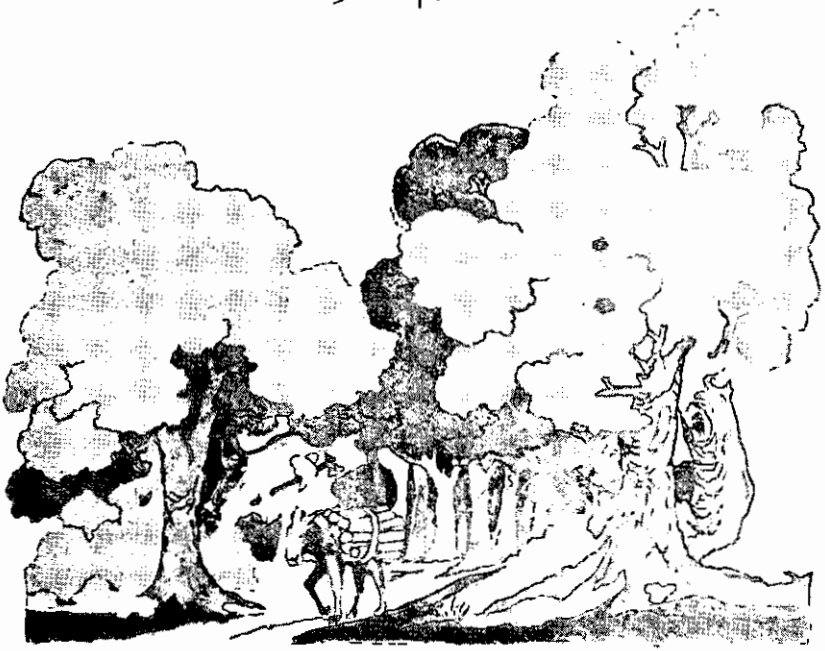

كانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمانِ ، أَخَوانِ شَقِيقانِ ، يَعِيشانِ فِي بَلَدٍ مِنْ بِلادِ ٱلْفُرْسِ ، أَحَدُهُما غَنِيٌّ جِدًّا ، وَٱلْآخَرُ فَقِيرٌ جِدًّا ، وَٱسْمُ ٱلْأَوَّلِ : « قاسِمٌ » ، وَٱسْمُ الثَّانِي : « عَلِي بابا » .

وَكانَ قاسِمٌ — فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهِ — فَقِيرًا كَأَخِيهِ عَلِي بابا وَلٰكِنَّهُ تَزَوَّجَ بِنْتَ تاجِرٍ غَنِيٍّ ، وَرِثَتْ مِنْ أَبِيها — بَعْدَ مَوْتِهِ —

مالًا كَثِيرًا ، وَتِجارَةً عَظِيمَةً . فَأَصْبَحَ زَوْجُها يَنْعَمُ بِتِلْكَ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ . وَبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ نَجَحَتْ تِجارَتُهُ وَكَثُرَتْ أَرْباحُهُ ، فَصارَ مِنْ كِبارِ الْأَغْنِياءِ . أَمَّا أَخُوهُ عَلِي بابا فَكانَ مُتَزَوِّجًا بِامْرَأَةٍ فَقِيرَةٍ جِدًّا . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا بَيْتًا حَقِيرًا يَسْكُنُهُ ، وَثَلاثَةَ حَمِيرٍ يَذْهَبُ بِها كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْغابَةِ ، وَيُحَمِّلُها ما يَقْطَعُهُ مِنَ الْخَشَبِ ، ثُمَّ يَبِيعُهُ وَيَشْتَرِي بِثَمَنِهِ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُوتِ . وَكانَ أَخُوهُ قاسِمٌ قاسِيًا جِدًّا . فَكانَ — عَلَى غِناهُ وَثَرْوَتِهِ الْعَظِيمَةِ — لا يُعِينُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمالِ . وَكانَتْ زَوْجُهُ أَقْسَى مِنْهُ قَلْبًا ، فَلَمْ تَكُنْ تَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ الْفَقِيرِ ، وَكانَتْ تَعْبِسُ فِي وَجْهِهِ كُلَّما رَأَتْهُ ، وَلا تَجُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُوتِ أَوِ الْمالِ .

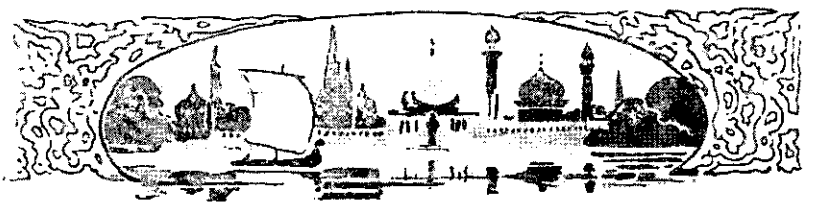

٢ — فِي الْغابَةِ

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ذَهَبَ عَلِي بابا إِلَى الْغابَةِ كَعادَتِهِ — وَمَعَهُ حَمِيرُهُ الثَّلاثَةُ — وَجَعَلَ يَقْطَعُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى جَمَعَ ما تَسْتَطِيعُ حَمِيرُهُ الثَّلاثَةُ أَنْ تَحْمِلَهُ . وَلَمَّا أَرادَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْها ما جَمَعَهُ مِنَ الْخَشَبِ رَأَى فُرْسانًا يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ . فَخافَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَسْرَعَ إِلَى حَمِيرِهِ الثَّلاثَةِ ، فَرَبَطَها فِي شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَشْجارِ الْغابَةِ ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى أَعْلاها ، وَاخْتَبَأَ بَيْنَ أَغْصانِها حَتَّى لا يَراهُ أَحَدٌ . ثُمَّ رَأَى الْفُرْسانَ يَنْزِلُونَ عَنْ خُيُولِهِمْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ . وَعَدَّهُمْ فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ فارِسًا يَتَقَدَّمُهُمْ رَئِيسُهُمْ . وَعَرَفَ مِنْ كَلامِهِمْ أَنَّهُمْ عِصابَةُ لُصُوصٍ . ثُمَّ وَقَفَ شَيْخُ اللُّصُوصِ — وَعَلِي بابا يَراهُ —

أَمامَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ فِي الْجَبَلِ ، وَقالَ : « افْتَحْ يا سِمْسِمُ » . فَانْشَقَّتِ الصَّخْرَةُ لِلْحالِ ، وَدَخَلَ الأَرْبَعُونَ لِصًّا مَعَ كَبِيرِهِمْ ، وَمَكَثُوا فِي الْكَهْفِ مُدَّةً قَلِيلَةً ثُمَّ خَرَجُوا . وَقالَ كَبِيرُهُمْ : « أَقْفِلْ يا سِمْسِمُ » . فَعادَتِ الصَّخْرَةُ ، فالْتَأَمَتْ (أَى : انْضَمَّتْ وَالْتَصَقَتْ) كَما كانَتْ ، وعادَ اللُّصُوصُ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا .

٣ – افْتَحْ يا سِمْسِمُ

وَكانَ عَلِي بابا يَعْجَبُ مِما يَراهُ أَشَدَّ الْعَجَبِ ، وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
« لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هٰذا هُوَ كَهْفَ اللُّصُوصِ الَّذِي يَخْبَئُونَ فِيهِ كُلَّ

ما يَسْرِقُونَ مِنْ مالٍ وَنَفائِسَ . وَقَدْ عَرَفْتُ سِرَّهُمُ الْآنَ ، وسَأُحاوِلُ أَنْ أَفْتَحَ هٰذا الْكَهْفَ وَأَرَى ما فِيهِ مِنْ مالٍ وَذَخائِرَ » . ثُمَّ نَزَلَ عَلِي بابا عَنِ الشَّجَرَةِ ، وَوَقَفَ أَمامَ الصَّخْرَةِ ، وَقالَ : « اِفْتَحْ يا سِمْسِمُ » . فَانْشَقَّتِ الصَّخْرَةُ ، وَفُتِحَ الْكَهْفُ . وَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَهُ مَمْلُوءًا بِالنَّفائِسِ وَالْمالِ والْحِجارَةِ الْكَرِيمَةِ . فَدَهِشَ عَلِي بابا أَشَدَّ دَهْشَةٍ ، وَخَشِيَ أَنْ يَعُودَ اللُّصُوصُ إِلى الْكَهْفِ ، فَحَمَلَ مِنْهُ كُلَّ ما تَسْتَطِيعُ حَمِيرُهُ الثَّلاثَةُ أَنْ تَحْمِلَهُ مِنَ الْمالِ . ثُمَّ خَرَجَ — بِسُرْعَةٍ — مِنَ الْكَهْفِ ، وَقالَ : « أَقْفِلْ يا سِمْسِمُ » . فَعادَتِ الصَّخْرَةُ كَما كانَتْ . وَسارَ عَلِي بابا فِي طَرِيقِهِ راجِعًا إِلى الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ قَلِيلًا مِنَ الْخَشَبِ فَوْقَ ما تَحْمِلُهُ حَمِيرُهُ مِنَ الْمالِ ، حَتَّى لا يَرْتابَ فِيهِ أَحَدٌ .

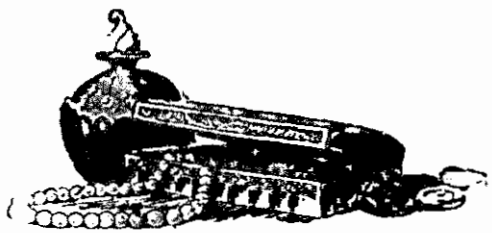

٤ – كَشْفُ السِّرِّ

وَلَمَّا عادَ عَلِي بابا إِلَى بَيْتِهِ ، وَرَأَتْ زَوْجُهُ ذٰلِكَ الْمالَ الْكَثِيرَ ، عَجِبَتْ وَدَهِشَتْ أَشَدَّ دَهْشَةٍ . وَظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَها قَدْ سَرَقَهُ ، فَخافَتْ خَوْفاً شَدِيدًا ، وَسَأَلَتْهُ : « مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَ هٰذا الْمالَ ؟ » فَقَصَّ عَلَيْها قِصَّتَهُ كُلَّها . فَاطْمَأَنَّتْ ، وَفَرِحَتْ بِهٰذِهِ الثَّرْوَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَمْ تُفَكِّرْ فِيها . وَأَرادَتْ أَنْ تَعُدَّ الدَّنانِيرَ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَعُدَّها لِكَثْرَتِها . فَقالَتْ لِزَوْجِها : « اشْتَغِلْ أَنْتَ بِحَفْرِ الْأَرْضِ

حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ» . فَسَأَلَها : «أَيْنَ تَذْهَبِينَ ؟» . فَقالَتْ لَهُ : «أَنا ذاهِبَةٌ إِلَى مَنْزِلِ أَخِيكَ ، لِأَسْتَعِيرَ مِنْ زَوْجِهِ مِكْيالًا نَكِيلُ بِهِ هٰذِهِ الدَّنانِيرَ ، لِنَعْرِفَ مِقْدارَ ما نَمْلِكُ مِنْ ثَرْوَةٍ» . فَقالَ لَها عَلِي بابا : «لا فائِدَةَ مِنْ ذٰلِكِ» . فَأَصَرَّتْ زَوْجُهُ عَلَى رَأْيِها ، وَذَهَبَتْ إِلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ : قاسِمٍ لِتَسْتَعِيرَ مِنْها مِكْيالًا . وَلَمَّا طَلَبَتْ مِنْها الْمِكْيالَ أَرادَتْ زَوْجُ قاسِمٍ أَنْ تَعْرِفَ ماذا أَحْضَرُوهُ . فَوَضَعَتْ فِي الْمِكْيالِ شَيْئًا مِنَ الْعَسَلِ لِيَلْصَقَ بِهِ بَعْضُ ما يَكِيلُونَهُ . فَأَخَذَتْهُ زَوْجُ عَلِي بابا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْطُنَ إِلَى حِيلَتِها . وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِها ، وَجَدَتْ عَلِي بابا قَدْ حَفَرَ حُفْرَةً كَبِيرَةً ، فَوَضَعَتْ فِيها الذَّهَبَ بَعْدَ أَنْ فَرَغَتْ مِنْ كَيْلِهِ . ثُمَّ غَطَّتِ الْحُفْرَةَ — هِيَ وَزَوْجُها — بِالتُّرابِ كَما كانَتْ ، وَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِ قاسِمٍ فَأَعْطَتْها الْمِكْيالَ ، وَكانَ قَدْ لَصِقَ بِهِ دِينارٌ — فِي أَثْناءِ الْكَيْلِ — مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْطُنَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا رَأَتْهُ زَوْجُ قاسِمٍ ، عَجِبَتْ مِنْ ذٰلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ ، وَأَدْرَكَتِ السِّرَّ فِي طَلَبِ الْمِكْيالِ ، فَامْتَلَأَتْ نَفْسُها بِالْغَيْرَةِ وَالْغَيْظِ .

٥ – ذَهابُ قاسِمٍ إِلَى الْكَنْزِ

وَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً إِلَى زَوْجِها قاسِمٍ ، فَقالَتْ لَهُ مُغْتاظَةً : « لَقَدْ كانَ أَخُوكَ عَلِي بابا يَخْدَعُنا ، وَيَتَظاهَرُ أَمامَنا بِالْفَقْرِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لا يَجِدُ قُوتَ يَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّهُ أَغْنَى مِنَّا أَلْفَ مَرَّةٍ » . فَعَجِبَ قاسِمٌ مِنْ قَوْلِها ، وَلَمْ يُصَدِّقْها . فَقالَتْ لَهُ : « إِنَّهُ يَكِيلُ الدَّنانِيرَ كَيْلًا لِكَثْرَتِها ! » . ثُمَّ أَرَتْهُ الدِّينارَ الَّذِي لَصِقَ بِالْمِكْيالِ ، وَقَصَّتْ

عَلَيْهِ ما حَدَثَ . فَامْتَلأَتْ نَفْسُ قاسِمٍ غَيْرَةً وَغَيْظاً عَلَى أَخِيهِ عَلى بابا . وَذَهَبَ إِلَيْهِ مُسْرِعًا ، لِيَعْرِفَ مِنْهُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ . وَكانَ عَلِي بابا طَيِّبَ الْقَلْبِ ، فَلَمْ يَكْتُمْ عَنْ أَخِيهِ شَيْئاً مِمَّا حَدَثَ . ثُمَّ قالَ عَلِي بابا لِأَخِيهِ قاسِمٍ : « وَأَنا مُسْتَعِدٌّ يا أَخِي أَنْ أَقْسِمَ هٰذا الْمالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالسَّواءِ » . فَلَمْ يَقْنَعْ قاسِمٌ بِذٰلِكَ وقالَ لِأَخِيهِ وَهُوَ عابِسُ الْوَجْهِ : « لا بُدَّ أَنْ تُعَرِّفَنِي طَرِيقَ هٰذا الْكَنْزِ ، وَإِلَّا ذَهَبْتُ إِلَى الْقاضِي وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتَكَ ، لِيَأْخُذَ مالَكَ قَهْرًا ، وَيُنْزِلَ بِكَ أَشَدَّ الْعِقابِ » . فَقالَ لَهُ عَلِي بابا : « أَنا لا أَخْشَى الْقاضِيَ لِأَنِّي لَمْ أَسْرِقْ هٰذا الْمالَ . ولٰكِنِّي أُحِبُّكَ وَأُخْلِصُ لَكَ ، وَلا أَضَنُّ عَلَيْكَ بِما تَطْلُبُهُ — وَلَوْ أَخَذْتَ مالِي كُلَّهُ — فَأَنْتَ أَخِي وَشَقِيقِ الْأَكْبَرُ ، وَإِذا شِئْتَ أَرْشَدْتُكَ إِلَى مَكانِ الْكَنْزِ . وَلٰكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ اللُّصُوصَ » . فَلَمْ يُبالِ قاسِمٌ بِالْخَطَرِ . وَلَمْ يَكَدْ يَعْرِفُ طَرِيقَ الْكَنْزِ ، حَتَّى أَعَدَّ عَشَرَةَ بِغالٍ ، لِيُحَمِّلَها ما يَخْتارُهُ مِنَ النَّفائِسِ والْمالِ . ثُمَّ سارَ بِها حَتَّى وَصَلَ إِلَى كَهْفِ اللُّصِ .

٦ – فِي كَهْفِ اللُّصُوصِ

ثُمَّ قالَ قاسِمٌ : « اِفْتَحْ يا سِمْسِمُ » . فانْشَقَّتِ الصَّخْرَةُ وَفُتِحَ بابُ الكَهْفِ . فَدَخَلَ قاسِمٌ – وَهُوَ فَرْحانُ – وَقالَ : « أَقْفِلْ

يا سِمْسِمُ » . فَعادَتِ الصَّخْرَةُ كَما كانَتْ . وَلَمَّا رَأَى قاسِمٌ ما يَحْوِيهِ الْكَنْزُ — مِنْ نَفائِسَ وَأَحْجارٍ كَرِيمَةٍ — دَهِشَ ، وَوَقَفَ يَتَأَمَّلُ فِيها مُدَّةً طَوِيلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي عَوْدَةِ اللُّصُوصِ . وَمَرَّتْ بِهِ عِدَّةُ ساعاتٍ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى جَمْعِ ما يَخْتارُهُ مِنْ نَفائِسِ الْكَنْزِ وَذَخائِرِهِ . وَأَنْساهُ طَمَعُهُ كَلِمَةَ السِّرِّ . وَحاوَلَ جُهْدَهُ أَنْ يَذْكُرَها فَلَمْ يَسْتَطِعْ . واشْتَدَّ يَأْسُهُ ، وَخافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفاً شَدِيدًا . فَقالَ وَهُوَ مُرْتَبِكٌ : « اِفْتَحْ يا شَعِيرُ » . فَلَمْ يَنْفَتِحِ الْبابُ . فَزادَ ارْتِباكُهُ وَقالَ : « اِفْتَحْ يا حِمَّصُ . اِفْتَحْ يا قِرْطِمُ . اِفْتَحْ يا قَمْحُ . اِفْتَحْ يا عَدَسُ . اِفْتَحْ يا فُولُ » . وَهٰكَذا ظَلَّ يُرَدِّدُ أَسْماءَ الْحُبُوبِ كُلَّها مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ كَلِمَةَ سِمْسِمٍ . فَلَمْ يَنْفَتِحِ الْبابُ .

وَحِينَئِذٍ أَيْقَنَ قاسِمٌ أَنَّهُ لا بُدَّ هالِكٌ . وَعَرَفَ أَنَّ طَمَعَهُ وَشَرَهَهُ وَتَهافُتَهُ عَلَى الْمالِ قَدْ ساقَتْهُ إِلَى الْمَوْتِ . فَنَدِمَ عَلَى مُخاطَرَتِهِ أَشَدَّ النَّدَمِ .

٧ – مَصْرَعُ قَاسِمٍ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ جاء اللُّصُوصُ ، وَرَأَوْا عَشَرَةَ بِغَالٍ أَمَامَ كَهْفِهِمْ ، فَدَهِشُوا . وَخَشِيَ كَبِيرُهُمْ عَلَى الْكَهْفِ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ : « اِفْتَحْ يا سِمْسِمُ » . فَانْفَتَحَ الْبابُ . وَحِينَئِذٍ ذَكَرَ قَاسِمٌ كَلِمَةَ السِّرِّ ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَواتِ الْوَقْتِ ، وَأَسْرَعَ بِالْهُرُوبِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ . وَضَرَبَهُ أَحَدُ اللُّصُوصِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ . واشْتَدَّ غَيْظُ اللُّصُوصِ عَلَيْهِ فَقَطَعُوا جِسْمَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزاءٍ ، وَوَضَعُوا كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُ فِي زاوِيَةٍ مِنْ زَوايا الْكَنْزِ ، حَتَّى إِذا رَآهُ شُرَكاؤُهُ – إِنْ كانَ لَهُ شُرَكاءُ – خافُوا ، وَلَمْ يَجْرُءُوا على الْعَوْدَةِ إِلَى الْكَهْفِ بَعْدَ ذَلِكَ .

٨ – جُثَّةُ قاسِمٍ

وَلَمَّا جاءَ اللَّيْلُ وَلَمْ يَعُدْ قاسِمٌ إِلى بَيْتِهِ ، قَلِقَتْ عَلَيْهِ زَوْجُهُ ، وَخَشِيَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصابَهُ مَكْرُوهٌ . فَأَسْرَعَتْ إِلى عَلِيٍّ بابا وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ زَوْجَها لَمْ يَعُدْ إِلَى بَيْتِهِ مُنْذُ خَرَجَ فِي الصَّباحِ . فَقَلِقَ عَلِيٌّ بابا وَخافَ عَلَى أَخِيهِ أَيْضًا . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ قَلَقَهُ لِزَوْجِ أَخِيهِ . فَقالَ لَها : « لَعَلَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَبْقَى فِي الْغابَةِ إِلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى لا يَراهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ » . فَاطْمَأَنَّتْ زَوْجُ قاسِمٍ . وَلٰكِنَّ اللَّيْلَ انْتَصَفَ وَلَمْ يَعُدْ زَوْجُها فامْتَلَأَتْ نَفْسُها خَوْفًا عَلَيْهِ ، وَذَهَبَتْ إِلَى عَلِيٍّ بابا وَأَخْبَرَتْهُ بِذٰلِكَ ، فَظَلَّ يُؤَسِّيها إِلَى الصَّباحِ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْكَهْفِ ، وَمَعَهُ حَمِيرُهُ الثَّلاثَةُ . وَلَمَّا دَخَلَ الْكَهْفَ رَأَى جُثَّةَ قاسِمٍ ، فَتَأَلَّمَ أَشَدَّ الأَلَمِ ، وَبَكَى عَلَى أَخِيهِ . وَلٰكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْجَزَعَ لا فائِدَةَ مِنْهُ ، فَحَمَلَ جُثَّةَ أَخِيهِ عَلَى حِمارِهِ . وَحَمَّلَ الْحِمارَيْنِ الآخَرَيْنِ ما أَمْكَنَ أَنْ يَحْمِلاهُ مِنْ نَفائِسِ الْكَنْزِ ، وَعادَ بِها إِلَى الْبَيْتِ .

٩ – دَفْنُ قاسِم

وَلَمَّا ذَهَبَ عَلِي بابا إلى بَيْتِ أَخِيهِ ، وَرَأَتْ زَوْجُ أَخِيهِ جُثَّةَ قاسِمٍ ، بَكَتْ مُتَأَلِّمَةً . فَخَفَّفَ عَنْها عَلِي بابا وَأَسَّاها مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ قالَ لَها : « لا فائِدَةَ مِنَ الْبُكاءِ الآنَ . وَيَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَتَعاوَنَ عَلَى

دَفْنِ قاسِمٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ ما حَدَثَ لهُ ، حَتَّى لا يَشِيعَ الْخَبَرُ فَيَصِلَ إِلَى اللُّصُوصِ فَيَقْتُلُونا شَرَّ قِتْلَةٍ » . فَقالَتْ لَهُ : « ولٰكِنْ كَيْفَ نَدْفِنُهُ ، وَجُثَّتُهُ مُقَطَّعَةٌ هٰكَذا ؟ » . وَكانَ فى بَيْتِ قاسِمٍ خادِمٌ أَمِينَةٌ ذَكِيَّةٌ اسْمُها « مَرْجانَةُ » — وَكانَتْ تَسْمَعُ ما يَقُولانِ — فَقالَتْ لَهُما : « أَنا أُحْضِرُ لَكُما مَنْ يَخِيطُ جُثَّتَهُ » . ثُمَّ ذَهَبَتْ مُسْرِعَةً إِلى دُكّانِ خَيَّاطٍ ماهِرٍ اسْمُهُ : « بابا مُصْطَفَى » وَأَعْطَتْهُ دِينارَيْنِ . فَفَرِحَ بِهِما ، وَسارَ مَعَها حَتَّى اقْتَرَبَ مِنَ الْبَيْتِ . فَوَضَعَتْ مِنْدِيلًا عَلَى عَيْنَيْهِ حَتَّى لا يَعْرِفَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ سارَتْ بِهِ إِلَى الْغُرْفَةِ الَّتِي فِيها جُثَّةُ قاسِمٍ ، وَرَفَعَتِ الْمِنْدِيلَ عَنْ عَيْنَيْهِ حَتَّى خاطَ الْجُثَّةَ وَأَعادَها كَما كانَتْ . فَأَعْطَتْهُ دِينارًا ثالِثاً ، فَزادَ فَرَحُهُ . ثُمَّ وَضَعَتِ الْمِنْدِيلَ عَلَى عَيْنَيْهِ ثانِيَةً ، وَعادَتْ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَتَى . وَلَمَّا رَجَعَتْ إِلى الْبَيْتِ عاوَنَتْ سَيِّدَتَها وَعَلِي بابا فى دَفْنِ قاسِمٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطُنَ أَحَدٌ إِلى ما حَدَثَ لَهُ . وَسَكَنَ عَلِي بابا بَيْتَ أَخِيهِ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — وَتَوَلَّى تِجارَتَهُ وَأَعْمالَهُ .

١٠ – بابا مُصْطَفَى واللُّصُوصُ

وَلَمَّا عادَ اللُّصُوصُ إلَى كَهْفِهِمْ لَمْ يَجِدُوا جُثَّةَ قاسِمٍ فِيهِ ، فَعَلِمُوا أَنَّ لَهُ شُرَكاءَ . وَأَرْسَلَ شَيْخُ اللُّصُوصِ أَحَدَ أَتْباعِهِ لِيَبْحَثَ عَنْهُمْ . فَذَهَبَ اللِّصُّ إلَى الْمَدِينَةِ ، وَبَحَثَ طُولَ اللَّيْلِ فَلَمْ يَهْتَدِ إلَيْهِمْ . وَلَمَّا جاءَ وَقْتُ الْفَجْرِ ، رَأَى بابا مُصْطَفَى جالِسًا فِى دُكَّانِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسأَلَهُ مُتَعَجِّباً : « كَيْفَ تَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ والدُّنْيا لا تَزالُ مُظْلِمَةً ؟ » . فَقالَ لَهُ مُفْتَخِرًا : « لَقَدْ وَهَبَنِيَ اللهُ بَصَرًا قَوِيًّا جِدًّا . وَقَدِ اسْتَطَعْتُ – أَمْسِ – أَنْ أَخِيطَ جُثَّةَ رَجُلٍ مُقَطَّعَةً فى غُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتْعَبَ عَيْناىَ » . فَاحْتالَ عَلَيْهِ اللِّصُّ حَتَّى عَرَفَ مِنْهُ قِصَّتَهُ مَعَ مَرْجانَةَ ، وأَعْطاهُ دِينارًا لِيُرِيَهُ ذٰلِكَ الْبَيْتَ . فَقالَ لَهُ : « أَنا لا أَعْرِفُهُ لِأَنَّ الْفَتاةَ وَضَعَتْ عَلَى عَيْنَىَّ مِنْدِيلًا حَتَّى لا أَهْتَدِىَ إلَيْهِ » . فَقالَ لَهُ اللِّصُّ : « سِرْ مَعِى لَعَلَّنا نَهْتَدِى إلَيْهِ » . فَسارَ مَعَهُ قَلِيلًا ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « إلَى هُنا لا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ » . فَوَضَعَ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْدِيلًا وَقال لَهُ : « سِرْ مَعِى ، وَاذْكُرْ عَدَدَ الْخَطَواتِ الَّتِى

مَشَيْنَا مَعَ الْفَتَاةِ » . فَسارَ مَعَهُ بابا مُصْطَفَى مُدَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ وَقَفَ وَقالَ لَهُ : « ها هُنا بَيْتُها » . فَخَطَّ اللِّصُّ عَلَى الْبابِ خَطًّا ، وَذَهَبَ إِلَى اللُّصُوصِ وَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ ما حَدَثَ .

١١ — ذَكاءُ مَرْجانَةَ

وَرَأَتْ مَرْجانَةُ ما خَطَّهُ اللِّصُّ عَلَى الْبابِ ، فَفَطِنَتْ إِلَى الْحِيلَةِ ، وَخَطَّتْ عَلَى كُلِّ بابٍ مِنَ الأَبْوابِ الَّتِي تُجاوِرُهُ خَطًّا مِثْلَهُ . وَلَمَّا عادَ اللُّصُوصُ فِي اللَّيلِ وَجَدُوا عَلَى كُلِّ بابٍ خَطًّا ، فَعادُوا خائِبِينَ . وَغَضِبَ شَيْخُهُمْ عَلَى ذٰلِكَ اللِّصِّ فَقَتَلَهُ . وَأَرْسَلَ لِصًّا آخَرَ إِلَى « بابا مُصْطَفَى » فَعَمِلَ كَما عَمِلَ صاحِبُهُ ، وَخَطَّ عَلَى الْبابِ خَطًّا أَحْمَرَ . فَلَمَّا رَأَتْهُ مَرْجانَةُ ، خَطَّتْ عَلَى كُلِّ بابٍ خَطًّا أَحْمَرَ . وَلَمَّا جاءَ اللُّصُوصُ لَيْلًا ، اخْتَلَطَ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ ، فَعادُوا خائِبِينَ وَقَتَلَ شَيْخُهُمُ اللِّصَّ الثّانِيَ أَيْضًا . ثُمَّ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى بابا مُصْطَفَى ، وَعَرَفَ مِنْهُ الْبَيْتَ وَتَثَبَّتَ مِنْهُ حَتَّى لا يَضِلَّ عَنْهُ إِذا جاءَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ .

١٢ – مَرْجانَةُ وَاللُّصُوصُ

ثُمَّ أَحْضَرَ شَيْخُ اللُّصُوصِ أَرْبَعِينَ خابِيَةً ، وَمَلَأَ خابِيَتَيْنِ مِنْها زَيْتاً ، ووَضَعَ فِي كُلِّ خابِيَةٍ مِنَ الْخَوابِي الْباقِيَةِ لِصًّا مِنْ عِصابَتِهِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الِانْتِقامِ مِنْ أَعْدائِهِمْ مَتَى رَمَى شَيْخُهُمْ حَجَرًا . ثُمَّ نَزَلَ ضَيْفًا فِي بَيْتِ عَلِي بابا بَعْدَ أَنْ أَوْهَمَهُ أَنَّهُ تاجِرُ زَيْتٍ ،

وَأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ كُلَّ عامٍ ضَيْفًا عِنْدَ أَخِيهِ قاسِمٍ ، وَوَضَعَ الْخَوابِيَ الْأَرْبَعِينَ فِي فِناءِ مَنْزِلِهِ . وَلَمَّا تَعَشَّيا جَلَسا يَتَسامَرانِ . وَرَأَتْ مَرْجانَةُ — لِحُسْنِ الْحَظِّ — أَنَّ زَيْتَ الْمِصْباحِ قَدْ نَفِدَ . وَلَمْ تَجِدْ فِي الْبَيْتِ زَيْتًا ، فَذَهَبَتْ إِلَى إِحْدَى الْخَوابِي لِتَفْتَحَها ، فَسَمِعَتْ فِيها صَوْتًا خافِتًا . وَذَهَبَتْ إِلَى الثّانِيَةِ وَالثّالِثَةِ وَهٰكَذا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْخابِيَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ ، فَلَمْ تَسْمَعْ فِيهِما صَوْتًا . فَأَدْرَكَتْ بِذَكائِها حِيلَةَ اللُّصُوصِ . وَمَلَأَتْ وِعاءً كَبِيرًا بِالزَّيْتِ ، وَوَضَعَتْهُ عَلَى النّارِ حَتَّى اشْتَدَّ غَلَيانُهُ ، ثُمَّ فَتَحَتْ كُلَّ خابِيَةٍ وَصَبَّتْ فِيها شَيْئًا مِنَ الزَّيْتِ حَتَّى قَتَلَتِ اللُّصُوصَ جَمِيعًا أَشْنَعَ قِتْلَةٍ . وَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ وَنامَ عَلِي بابا ، رَمَى شَيْخُ اللُّصُوصِ حَجَرًا وَثانِيًا وَثالِثًا فَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ مِنْ رِجالِهِ . فَذَهَبَ إِلَى الْخَوابِي فَرَأَى أَصْحابَهُ مَقْتُولِينَ ، فَخَرَجَ كَالْمَجْنُونِ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْغَيْظِ . وَلَمَّا جاءَ الصَّباحُ وَعَلِمَ عَلِي بابا مِنْ مَرْجانَةَ كُلَّ ما حَدَثَ شَكَرَها ، وَتَعاوَنَ مَعَها عَلَى حَفْرِ الْأَرْضِ وَدَفْنِ اللُّصُوصِ حَتَّى لا يَظْهَرَ لَهُمْ أَثَرٌ .

١٣ – مَصْرَعُ شَيْخِ اللُّصُوصِ

أَمَّا شَيْخُ اللُّصُوصِ فَكانَ يَدْخُلُ الْكَهْفَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيُنادِي أَصْحابَهُ ، فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، فَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ . ومَرَّتْ بِهِ عِدَّةُ أَشْهُرٍ وَهُوَ كالْمَجْنُونِ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ . ثُمَّ رأَى أَنَّ الْحُزْنَ لا يَنْفَعُ ، فَعَزَمَ عَلَى الِانْتِقامِ . فَغَيَّرَ زِيَّهُ وَهَيْئَتَهُ ، وَفَتَحَ دُكّانَ تِجارَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ عَلِي بابا ، وَصارَ يَتَوَدَّدُ إِلى وَلَدِ قاسِمٍ وَيُهْدِي إِلَيْهِ أَنْفَسَ الْهَدايا . فَدَعاهُ يَوْمًا إِلى بَيْتِهِ ، ورَحَّبَ بِهِ عَلِي بابا لِأَنَّهُ ضَيْفُ ابْنِ

أَخِيهِ . وَلٰكِنْ مَرْجانَةُ الذَّكِيَّةُ ارْتابَتْ حِينَ رَأَتْ فِي حِزامِهِ سِكِّيناً كَبِيرَةً . وَلَمَّا أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِيهِ عَرَفَتْهُ وَأَدْرَكَتْ غَرَضَهُ . فَلَبِسَتْ أَفْخَرَ ما عِنْدَها مِنَ الثِّيابِ وَرَقَصَتْ أَمامَهُ مُتَظاهِرَةً بِالْفَرَحِ لِقُدُومِهِ . ثُمَّ غافَلَتْهُ وَأَخَذَتْ سِكِّينًا مِنْ وَسَطِها بِرَشاقَةٍ ، وَضَرَبَتْهُ بِها فِي قَلْبِهِ ، فَقَتَلَتْهُ لِلْحالِ . وَغَضِبَ عَلِي بابا وَابْنُ أَخِيهِ مِمَّا حَدَثَ أَشَدَّ الْغَضَبِ ، فَأَخْبَرَتْهُما مَرْجانَةُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ ، فَشَكَرا لَها أَحْسَنَ الشُّكْرِ ، ثُمَّ تَعاوَنُوا جَمِيعًا عَلَى دَفْنِهِ بِجِوارِ أَصْحابِهِ اللُّصُوصِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطُنَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ .

١٤ — خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَلَمْ يَنْسَ عَلِي بابا فَضْلَ مَرْجانَةَ عَلَيْهِ ، فَزَوَّجَها ابْنَ أَخِيهِ مُكافَأَةً لَها عَلَى مَعْرُوفِها وَذَكائِها . وَأَصْبَحَ الْكَنْزُ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — مِلْكًا لِعَلِي بابا بَعْدَ قَتْلِ اللُّصُوصِ ، فَقَسَمَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُما بِالسَّوِيَّةِ ، وَعاشُوا جَمِيعاً طُولَ الْحَياةِ وَهُمْ عَلَى أَسْعَدِ حالٍ وَأَهْنَإِ بالٍ .

مكتبة الكيلانى

مَجْمُوعاتُها : تُسايِرُ التِّلْميذَ فِى نَحْوِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ قِصَّةً ، رائِعَةَ الصُّوَرِ ، بَدِيعَةَ الْإِخْراجِ ، مُتَدَرِّجَةً بِهِ مِنْ رِياضِ الْأَطْفالِ إِلَى خِتامِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِىِّ . ثُمَّ تُسْلِمُهُ إِلَى مَكْتَبَةِ الْكِيلانِىِّ لِلشَّبابِ .

مادَّتُها : تُقَوِّمُ الْخُلُقَ ، وَتُرَبِّى الذِّهْنَ ، وَتُعَلِّمُ الْأَدَبَ .

فَنُّها : يَشُوقُ الْقارِئَ وَيُمْتِعُهُ ، وَيُحَبِّبُ الْكِتابَ إِلَيْهِ .

لُغَتُها : تُنَمِّى مَلَكَةَ التَّعْبِيرِ ، وَتَطْبَعُ اللِّسانَ عَلَى فَصِيحِ الْبَيانِ .

ثَوْرَةٌ رَشِيدَةٌ ، أَجْمَعَ عَلَى تَأْيِيدِها وُزَراءُ الْمَعارِفِ وَزُعَماءُ التَّعْلِيمِ وَقادَةُ الرَّأْىِ فِى الشَّرْقِ ، وَكِبارُ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَعْلامُ التَّرْبِيَةِ فِى الْغَرْبِ .

أَوَّلُ مَكْتَبَةٍ عَرَبِيَّةٍ عُنِيَتْ بِتَنْشِئَةِ الطِّفْلِ عَلَى أَحْدَثِ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ . تَوالَتْ طَبَعاتُها الْعَرَبِيَّةُ ؛ فَتَثَقَّفَ بِها الْجِيلُ الْجَدِيدُ فِى بِلادِ الْعُرُوبَةِ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْها بَيْتٌ عَرَبِىٌّ .

تُرْجِمَتْ إِلَى أَكْثَرِ اللُّغاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَبَعْضِ اللُّغاتِ الْغَرْبِيَّةِ .

مَدْرَسَةٌ حُرَّةٌ ، إِذَا عَرَفَها التِّلْميذُ ، سَعَى إِلَيْها بِلا تَرْغِيبٍ وَلا تَرْهِيبٍ

كانَتْ أَكْبَرَ أُمْنِيَّةٍ لِلآباءِ ، وَهِىَ الْيَوْمَ أَشْهَى غِذاءٍ ثَقافِىٍّ لِلْأَبْناءِ

رقم الإيداع	١٩٩٨/٣٦٧٧
الترقيم الدولى	977-02-5557-2 ISBN

٧/٩٧/١٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)